Archive of SID

أ.د. الشيخ محمد مهدي التسخيري
مستشار امين عام المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

دراسات ومقالات

منهج الدعاء الوحدوي

عن ابي عبدالله قال: قال اميرالمؤمنين(ع) : أحبّ الاعمال إلى الله في الارض الدعاء وافضل العبادة العفاف، قال: وكان اميرالمؤمنين (ع) رجلاً دعّاء [1].

مقدمة:

ان الدعاء حلقة الوصل بين العبد وربه متى افتقدها أو أغفلها فقد تاه في أزقة الضلال الملتوية، لايمكنه الخروج منها الا باستعادتها بلطف من الله وارادة وتصميم من العبد.

www.SID.ir

يلاحظ أن للدعاء في اللغة معان كثيرة منها:

Archive of SID

أ. الدعاء هو (الرغبة إلى الله). كما أشار إليه الفيروز آبادي في قاموس المحيط الدعاء إلى الشيء، الحث على قصده ... وهو ما أشار إليه الراغب الاصفهاني في مفرداته.

و في القرآن الكريم يحتمل معان عديدة وأهمها ما ذكر عن الاصفهاني والفيروز آبادي واليك بعض الآيات الدالّة على ذلك:

ـ ﴿وَاللهُ يَدْعُو إلى دَارِ السَّلاَمِ وَيَهْدِي مَن يَشَاء إلى صرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (2).

ـ ﴿وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إلى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إلى النَّارِ تَدْعُونَنِي لأَكْفُرَ بِاللهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إلى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ﴾ (3).

ـ ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (4).

لذلك فإن الدعاء طلب من العبد واستجابة من الربّ أو توجه من العبد نحو ربه واقبال من ربّ العزة نحو عبده.

و ضرورة الدعاء في الحياة تتجسد في بعدين، البعد المادي والبعد المعنوي:

اما الجانب المادي فان الإنسان فطرياً يلتجئ إلى الدعاء في احتياجاته الدنيوية:

www.SID.ir

Archive of SID

أ- لرفع الفقر والمرض والخوف ...

ب - لدفع التحديات التي يواجهها من الآخرين تمسكاً بالطرق العملية للدعاء .

ج - لزرع الطمأنينة عنده والثقة بالنفس في مواطن اهتزازها .

اما الجانب المعنوي : فهو أمر غيرمادّي ، قدلايستطيع الإنسان وصفه ، كالحركة نحوالكمال والعشق القلبي الذي يجرالإنسان نحو مركز القوى والشوق إلى الاتصال بعالم يؤمن به كل الايمان وهو غيرقادر على توصيفه؛ لأن هذا الوجود يحيط به من كل جانب. وهذا ما يشير إليه القرآن الكريم: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسان وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوسُ به نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إليه منْ حَبْل الْوَريد﴾[5] ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إليه منكُمْ وَلَكن لَّا تُبْصرُونَ﴾[6].

اذاً للدعاء في حياة الإنسان معنى الانفتاح على الله والاقبال عليه في احساس عميق بالحاجة إليه على اساس الفقر الذاتي المتمثل في عمق كيانه والعبودية التي توحي بانسحاق وجوده أمامه وذوبان ارادته امام ارادته.. وهو في الوقت نفسه ـ عبادة حيّة متحركة لاتخضع لتقاليد العبادة فيماهو الزمان المحدود ، والمكان المعين والكلمات الخاصة والافعال المحدّدة .. بل يأخذ الإنسان حرّيته

www.SID.ir

Archive of SID

ـ معها ـ في الوقت الذي يختاره وفي الحالة التي يكون عليها وفي المكان الذي يقف فيه وفي الكلمات التي يختارها وفي اللغة التي يتحدث بها، وفي المضمون الذي يعبرعنه ... فيستطيع أن يدعو ربه قائماً وقاعداً ومضطجعاً وسائراً وواقفاً و.... في الصباح وفي المساء وفي الظهيرة ، في قضاياه الصغيرة والكبيرة وفي احاسيسه الذاتية ، ومشاعره المتصلة بالآخرين [7].

ان الدعاء هو روح الدين وبدونه لامعنى للدين في نفوس المؤمنين ولن تجد ديناً لايشتمل على ادعية خاصة وعامة .

ان الايمان بالله الواحد الاحد هو اساس الأديان السماوية، والدعاء هو الباب التي يأتي العبد منها ليناجي ربه ويرتبط به ويدعوه كيف مايحلو له ، به يرتفع العبد من أدنى مراتب الوجود المادية إلى أعلى درجات السمو ليقترب إلى العرش الربوبي ويصل إلى قاب قوسين أو أدنى .

الدعاء يحمل في طياته اروع المفاهيم التربوية والحكم العقلانية والصلابة الايمانية . فيه يتحول الخطاب من محطة سفلية ودنية إلى جانب ربوبي، علوي يكشف الإنسان كل ما لديه من اسرار خفية على بني

www.SID.ir

Archive of SID

نوعه، ليتخلى عن رذائل الصفات المستورة ويتحلى بأفضل النعوت الموهوبة من رب رحيم لتجسيد الخلق والخلق العظيم في اضيق بقعة من كائنات رب العزة والعظمة .

فالدعاء فعل الجميع بلسان وقلب ، عالم وجاهل، اسود وابيض لاينحصر في مكان ولا زمان ولا مذهب وقومية ومدرسة ودين، ولابصغير وكبير، ﴿هُوَ ٱللهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاء الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا في السَّمَاوَات وَالْأَرْض وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[8]، هو صلة الوصل بين العبدو المعبود، هو شعار الحرية والسيادة ، والخلاص من كل قيد ماسوا الله وهو لب الايمان واساس التقوى ونهج العبادة.

فكل مايكتب عن الدعاء هو قطرة في بحر عطائه ولايمكن لنا إلاّ الغور في اعماق هذا البحر واستخلاص درة ثمينة من جوفه لنزين قلوبنا وعقولنا بها ، نجعلها مناراً لحياتنا في الدنيا ومزرعة لآخرتنا.

ونحن في هذا المجال نتحدث عن الدور الوحدوي للدعاء في حياة الإنسان. ونسعى لتسليط الضوء على جانب مهم في مسيرة الإنسان التكاملية ومشروعه التوحيدي الذي يبتدئ بقوله (ص) : «قولوا لاإله الاّالله تفلحوا» وينتهي بـ (إنا إليه راجعون) فالمبدأ

www.SID.ir

Archive of SID

والمعاد واحد والمسير إلى الله واحد وان تعددت واختلفت واحد وان تعدّدت السبل وكانت بعدد انفاس الخلائق.

الوحدة ، دعوة للتعاليم الإسلامية:

المنطق القرآني في جميع أبوابه يدلنا على وحدة مترابطة بين بني البشر ويهدي الإنسان إلى الإيمان بوحدة نوعية إنسانية تقوم على السنن الإلهية الشاملة للجميع ، لتكوين أسرة واحدة ألا وهي أسرة التوحيد، موصولة الحلقات ورائد هذه الأسرة وأبوها إبراهيم خليل الرحمن(ع) بقوله تعالى : ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾[9] ورسول الله خاتم الانبياء في هذه الأسرة وبه تختم رسالات الله وهذه الأسرة هي الشجرة الطيبة ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[10]،

www.SID.ir

Archive of SID

الممتدة الجذور، المباركة الاغصان والفروع، طيبة الثمار، ممتدة في التاريخ واحدة بنص القرآن: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾[11] ، ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾[12]. وللقرآن اهتمام بالغ بإبراز وحدة هذه الأسرة وتماسكها وتمتين العلاقة بين شرائح وأجزاء هذه الأسرة الواحدة، وتعميق العلاقة داخلها ويدخل هذا الاهتمام في صلب منهج التربية الإسلامية في الاشعار بوحدة هذه الأسرة، وفي تعميق الإيحاء بالانتماء إليها قدوة وأسوة في حياة الناس[13] .

لذلك نشاهد تعاليم الإسلام في الاحكام والاخلاق والمعاملات تتجه نحو هذا المشروع الالهي الوحدوي للتأكيد على نهج التوحيد في كل مجالات الحياة، وقدكان التشريع العبادي السماوي للصلوة والصيام والحج و... في كل تفاصيله يحمل روح الوحدة، ويبعد عن التفرد والانفراد والتفرق، وكذا في المعاملات من تشريع الزكاة والضرائب والحث على الصدقات يصب في المنهج ذاته وايضاً هي الآداب الاخلاقية لاتنفصل عن هذاالاتجاه فكان من الاولى ان يكون الدعاء والذي هو روح الدين كما ذكرنا ان ينحو في هذا الاتجاه.

www.SID.ir

Archive of SID

دعاء الانبياء « عليهم السلام» :

ان الغاية من خلق الإنسان هي العبادة ولاغير، وقمة الحياة الإنسانية تتجلى بالعبودية لرب العزة والجلال، وهو القائل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[14]، بالعبادة يصل الإنسان إلى معبوده ويتقرب إليه ولذلك قرنت العبادات بقصد القربة إلى الله وابتغاء مرضاته، وبما أن الدعاء هو اقبال على الله ومن ابرز مصاديقه الانشداد والانجذاب والارتباط بالله ، قيل ان الدعاء هو مخ العبادة وقد ورد بمعنى العبادة ايضاً في الآية القرآنية كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[15].

إن الانبياء سادة قومهم وهم اعبد الناس فأصبحوا القدوة لأمتهم والمسيرة البشرية جمعاء .

لو امعنا النظر في الادعية القرآنية لشاهدنا بوضوح بأن انبياء الله كثيراً ما يردفون المؤمنين والاخوة والوالدين والاقرباء في أدعيتهم، فهم الاسوة لنا في اعمالنا وعلينا اتباعهم إذا دعا المؤمن لأخيه وقريبه فانه بذلك قد أزال الضغينة

www.SID.ir

Archive of SID

والحسد عن نفسه بالنسبة لأخيه، ولذا ينفتح الله ابواب رحمته على الداعي ، وهذا النوع من الدعاء يدعو إلى الألفة والمحبة والوحدة فيما بين ابناء الامة الواحدة فالدعاء للآخرين يربطنا بهم ويجعلنا في مسيرة تأريخية واحدة كما اشرنا سابقاً .

وهنا نتطلع إلى نماذج من أدعية الانبياء الوحدوية التي تصب في مشروع هداية البشرية نحو نهج تأليفي إنساني من خلاله يتكافل المجتمع ويتكامل في منظومة منسجمة تحمل في طياتها كافة الأبعاد الفردية والاجتماعية والجوانب المعنوية والمادية نحو تربية هادفة صادقة لتحقيق معنى العبودية في وجدان كل إنسان موحد انتحل الحياة في اوساط المجتمعات المختلفة والشعوب المتفاوتة ليبرز محور التقوى من أجل تقييم المجتمع الصالح . من جملة هذه النماذج :

من مواعظ عيسى (ع) لقومه :

«يا بني اسرائيل ... ألم تسمعوا أنه قيل لكم في التورية :« صلوا أرحامكم وكافئوا أرحامكم» وأنا أقول لكم: صلوا من قطعكم وأعطوا من منعكم وأحسنوا إلى من أساء اليكم وسلّموا على من سبّكم وأنصفوا من

www.SID.ir

Archive of SID

خاصمكم واعفوا عمّن ظلمكم كما أنكم تتحبّون أن يُعفى عن إساءتكم فاعتبروا بعفوالله عنكم. ألاترون أن شمسه أشرقت على الابرار والفجّار منكم وأنّ مطره ينزل على الصالحين والخاطئين منكم،فإن كنتم لاتحبون إلاّمن أحبكم ولاتحسنون الاّ إلى من احسن اليكم ولاتكافئون الاّ من اعطاكم فما فضلكم على غيركم وقد يصنع هذا السفهاء الذين ليست عندهم فضول ولالهم احلام....»[16]

ومن تأمل في نصائح عيسى (ع) لقومه يكشف أنه كيف استطاع بهذه الكلمات النورانية ان يحوّل الفئات المشرذمة والمتقاتلة إلى جموع موحّدة ومتحابّة أحبته وأطاعته بعد ما أحب بعضهم الآخر وعفى بعضهم عن بعض واحسن بعضهم حتى إلى المسيئين منهم ليؤسسوا مجتمعاً توحيدياً ساد العالم كلّه.

مناجاة عيسويّة:

وقد ورد في مناجاة الله لعيسى بن مريم صلوات الله عليهما: يا عيسى أناربك ورب آبائك ، اسمي واحد وأنا الأحد المتفرد بخلق كل شيء وكل شيء من صنعي وكل اليّ راجعون....

أشهد أنك عبدي من أمتي تقرب اليّ بالنوافل وتوكل عليّ أكفك ، ولا تول غيري

www.SID.ir

Archive of SID

فأخذلك....

ياعيسى أحيي ذكري بلسانك وليكن ودّي في قلبك ....

ياعيسى ارفق بالضعيف وارفع طرفك الظليل إلى السماء وادعني فإني منك قريب ولاتذكرني إلاّ متضرّعاً اليّ وهمك واحد، فانك متى دعوتني كذلك أجبك.....

يا ابن مريم لورأت عينك ما اعددت لأوليائي الصالحين ذاب قلبك وزهقت نفسك شوقاً اليه، فليس كدارالآخرة دار تجاورفيها الطيبون وتدخل عليهم الملائكة المقرّبون و هم مما يأتي يوم القيامة من اهوالها آمنون، دار لايتغيرفيها النعيم ولايزول عن اهلها...

يا عيسى ان غضبت عليك لم ينفعك من رضي عنك وإن رضيت عنك لم يضرّك غضب المتغضبين عليك.

ياعيسى قل لهم : قلّموا اظفاركم من كسب الحرام، واصمّوا اسماعكم من ذكر الخناء، واقبلوا عليّ بقلوبكم فاني لست اريد صوركم....

ياعيسى أدب قلبك بالخشية وانظر إلى من أسفل منك، ولاتنظر إلى من فوقك واعلم أن رأس كل خطيئة وذنب هو حبّ الدنيا فلاتحبّها ، فاني لاأحبّها.

www.SID.ir

Archive of SID

ياعيسى أطب لي قلبك وأكثر ذكري في الخلوات ، واعلم ان سروري أن تبصبص اليّ وكن في ذلك حيّاً ولا تكن ميّتاً.... [17]

وقال عيسى (ع): طوبى للذين يتهجدون من الليل اولئك الذين يرثون النور الدائم من اجل أنهم قاموا في ظلمة الليل على ارجلهم في مساجدهم ، يتضرعون إلى ربّهم رجاء أن ينجيهم في الشدّة غداً[18].

وهذا تأديب آخر ودعوة من الله إلى التوحد بكل معانيه وتبيين لطرق الاتصاف بالعبودية له بأداء النوافل واحياء الذكر وتركيز الود والتوكل عليه والتضرع إليه كي ينطلق لإقامة دين الله وشرعه في ارضه وبناء مجتمع آمل بنعمة دائمة ، ورضا المعبود.

مناجاة نبي تحمل في طياتها دروس الحياة النزيهة والطاهرة لايشوبها حرام ولاتكتسي ثوب الظلم بهدر حقوق الآخرين ، وتدعو إلى حياة في قلوب خاشعة وعقول منفتحة وجوارح مجتهدة وجوانح مؤدّبة ، بالتسليم إلى خالقها، تسعى لتصل إلى النور الدائم من عمق ظلمات الليل رجاء النجاة.

تأديب موسوي:

وقد ورد في تحف العقول :

www.SID.ir

ياموسى أنت عبدي وأنا إلهك ،لاتستذل

Archive of SID

الحقير الفقير ولاتغبط الغني ،وكن عند ذكري خاشعاً ، عند تلاوته برحمتي طامعاً....

ياموسى عجّل التوبة وأخّر الذنب وتأن في المكث بين يديّ في الصلاة ولا ترج غيري، اتخذني جنّةً لك للشدائد وحصناً لملمّات الامور....

ياموسى عبادي يدعوني على ما كانوا بعد أن يقروا بي أنّي ارحم الراحمين، اجيب المضطرين ، واكشف السوء ، وأبدّل الزمان، وآتي بالرخاء، أشكر اليسير، واثيب بالكثير، أغني الفقير، وأنا الدائم العزيز القدير....ياموسى انظر إلى الارض فانها عن قريب قبرك، وارفع عينيك إلى السماء فان فوقك فيها ملكا عظيما، وابك على نفسك ما كنت في الدنيا وتخوف العطب والمهالك ولاتغرنك زينة الدنيا وزهرتها، ولاترض بالظلم ولاتكن ظالماً، فاني للظالم بمرصد حتى أديل منه المظلوم.... [19]

يشير ربّ العزة إلى عباده بالبقاء على الصلة مع الله سبحانه ويدعوهم إلى المساواة في الحياة الإنسانية في مختلف جوانبها الفردية والاجتماعية ، الاقتصادية والعبادية المادية والمعنوية .. والى عدم فك هذه الصلة التي بدونها يسقط الإنسان الفرد

www.SID.ir

Archive of SID

والمجتمع إلى هاوية لاتعرف عقباها. صحيح انه يخاطب نبيه عليه السلام ولكن حقيقة هذه المناجاة هي رسم استراتيجية للحياة الخالدة التي تربط بين دنيا الإنسان وآخرته وعدم فقدان الفرص المؤاتية والمساعدة على بناء حياة طيبة في الدنيا ممزوجة بالخوف والرجاء مفعمة بالثقة والاطمئنان برحمة ربه بعيدة عن الغفلة واليأس والهلاك والغرور والظلم و....

منهج الانبياء الوحدوي في القرآن :

وقد وردت في القرآن الكريم آيات مباركة تتحدث عن دعاء الانبياء في حق ابنائهم وعائلتهم ومجتمعهم، جاءت كلها بصيغة الجمع تأديباً للعباد وتربية لهم كي تكون ادعيتهم كسائر العبادات والمعاملات تنظر إلى الاجتماع والاخوة والوحدة الإنسانية لأن كل خير - شئنا أم أبينا - سوف ترجع ايجابياته على الجميع، وكذلك هوالشر اذا حل بقوم أو مجتمع سوف يأكل الاخضر واليابس، هي سنة كونية قائمة، وطبيعي ان السنن الايجابية تشمل الجميع والعكس هو الصحيح ايضاً « من سنّ سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل

www.SID.ir

Archive of SID

بها» .

وهنا نشير إلى بعض الآيات الواردة على لسان الانبياء (ع) دعاءً للجميع والآيات كثيرة منها ماورد على لسان نبينا آدم (ع) حيث قال: ﴿ قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[20] .

فهو تأديب الهي موجّه إلى بني البشر، يقصد ان علينا حسن الدعاء في الطلب لجميع المؤمنين من رحمة ومغفرة و.... وكل نعمة أنعمها الله على عباده الصالحين، ويدعو ابراهيم خليل الرحمن بقوله (ع) : ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[21] وآية ﴿....قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللّهِ من شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ، رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[22] فهذا الأسلوب الناجع الذي يدعو إليه أبو الأنبياء وقائد الأديان السماوية في مسيرة حركة الإنسان إلى ربه من اجل تكوين كتلة واحدة حتى ولو كانت مظاهرها المادية

www.SID.ir

Archive of SID

متفاوتة ومختلفة.

وقد دعا شعيب بخير مايكون من ربه بالفتح قائلاً: ﴿ قَد افْتَرَيْنَا عَلَى ٱللهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا ٱللهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلاَّ أَن يَشَاءَ ٱللهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى ٱللهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾[23] وفي دعاء موسى خوفاً على قومه من غضب فرعون الذي كان يدّعي الربوبية العليا الذي اضطهد وقتل واستحيى النساء واستكبر في الارض. يقول: ﴿قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَى﴾[24].

أدعية النبي(ص) واهل بيته(ع):

ان إتّباع النبي (ص) في العمل والقول والسيرة فرض الهي يلزم كل مؤمن ومؤمنة وهذا ما اكّده القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوَ ٱللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللهَ كَثِيرًا﴾[25] ونهج اهل بيته (ع) لاينفك عن نهجه لذلك سلكنا ذكر دعائهم في مسلك واحد للتأسي بهم هو التأسي برسول الله (ص) امتداداً للمشروع الالهي. والدعاء بالمأثور عن النبي وآله يفتح العبد باباً واسعاً للارتباط بمعبوده لأنهم عليهم السلام باب مدينة الرسول (ص)، وهو خليفة الله على ارضه وبيده مفاتيح الارتباط

www.SID.ir

Archive of SID

بالله ذي الاسماء الحسنى، وعدم معرفة نهجهم يوجب الحرمان من نعمة سلوك السبل الالهية ، صحيح بأننا كلفنا بالدعاء الذي هو ارتباط مباشر بين العبد وربه لكن آداب الارتباط وكيفيتها علينا أن نأخذها من الذين اكثر قرباً لحضرة ذي الجلال والاكرام.

نشير هنا الى بعض المأثور عن النبي (ص) وجاء بصيغة الطلب الجمعي:

« اللهم انا نسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والسلامة من كل اثم والغنيمة من كل بر والفوز بالجنة والنجاة من النار».

وقد ورد ايضاً عنه (ص) : اللهم اغفرلنا وارحمنا وارض عنا وتقبل منا وادخلنا الجنة ونجنا من النار واصلح لنا شأننا كله .

واذا تمعنا في كتب الادعية الواردة عنهم (ع) لرفدنا بأعذب مايمكن للطلب أن يرتوى به من كلمات واجمل صور تنقل الإنسان المحب والعاشق إلى مراده ومولاه، حتى التي جاءت على نحوالانفراد فهي بالنهاية تحمل روح الجمع والجماعة يكمن فيها سبيل الوحدة في الارادة والخطاب والاداء المؤدي إلى التوحيد الربوبي، وليس من الصدفة ان يذكر اول الادعية في مفاتيح الجنان للمتهجد دعاء يهتف لوحدانية الله وتوحد الامة واصطفافها ليكون شعار وحدةللامة الإسلامية : « لااله الاّ الله الهاً واحداً ونحن له مسلمون لااله الاّالله

www.SID.ir

Archive of SID

ولانعبد الاّ اياه مخلصين له الدين ولو كره المشركون لااله إلاالله ربنا وربّ ابائنا الاولين لااله الاالله وحده وحده انجز وعده ونصرعبده وأعز جنده وهزم الاحزاب وحده فله الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير»[26].

بهذه الكلمات يبدأ الشيخ عباس القمي في كتابه مفاتيح الجنان والذي له مكانة خاصة في قلوب العارفين المهاجرين إلى الله.

إن الإسلام يدعو إلى الوحدانية الالهية والاخلاص هو روح العمل الإسلامي وكلما تصفحنا كتب الادعية المأثورة والمفعمة بكلمات أئمة الهدى والصالحين كلما شاهدنا اكثر الدعاء الجماعي والذي لايقتصرعلى المسلمين بل ليتعدى كافة ابناء الإنسانية والبشرية وقد روى الكفعمي في المصباح وفي البلد الامين كما روى الشيخ الشهيد في مجموعته عن النبي (ص) أنه قال: من دعا بهذا الدعاء في رمضان بعد كل فريضة غفر الله له ذنوبه إلى يوم القيامة:

اللهم ادخل على اهل القبورالسرور اللهم أغن كل فقير اللهم أشبع كل جائع اللهم أكس كل عريان اللهم اقض دين كل مدين اللهم فرج عن كل مكروب اللهم ردّ كل غريب اللهم فك كل اسير اللهم أصلح كل فاسد من امور المسلمين اللهم اشف كل مريض اللهم سد فقرنا بغناك اللهم غيرسوء حالنا بحسن حالك اللهم اقض

www.SID.ir

Archive of SID

عنا الدين وأغننا من الفقر إنك على كل شيء قدير[27].

ان المتأمل في عبارات الدعاء ، يكتشف كيف انه يدعو الرسول (ص) لكافة المحتاجين من الناس ولايشير إلى دينهم ومذهبهم يدعو لهم بالانفراج في المواطن الصعبة، من هول القبر، والخلاص من الفقر والجوع والعرى والكرب، والغربة والأسر وأداء الدين، ومن ثم يلتفت إلى المسلمين بالدعاء لهم على اصلاح الفاسد من امورهم وشفاء المريض وسدّ الفقر وتغيير الاحوال و... ان هذه التربية النبوية هي التي تستجلب الاعداء قبل الاصدقاء والمحبين نحو رسول الله (ص) ولو لم يكن كذلك لما كان رحمة للعالمين، وما التفت حوله قلوب العاشقين وانشد إليه الوالهون واصطف خلفه المريدون وقد قال سبحانه وتعالى في حقه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّه لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّه إِنَّ اللّه يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[28].

اضف إلى ذلك عندما نراجع دعوات الايام الرمضانية للنبي الاكرم (ص) كما هو منقول عن ابن عباس، بها يقدم صلوات الله و سلامه عليه مجتمعاً نموذجياً يحمل ارقى الصفات ليكون

www.SID.ir

Archive of SID

الاسوة لكافة البشرية ويحقق مصداق ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاس وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا....﴾ [29]، مجتمعاً عرف بالصيام والقيام، والوعي والتوبة، والعفو، والرضا، وقراءة القرآن، والابتعاد عن سخط الله، ونقمته والبعد عن السفاهة والتمويه وطلب الخير، وكثرة الذكر، واداء الشكر والسعي إلى المغفرة، والدخول في الصالحين القانتين والترحم على الايتام واطعام المساكين، وافشاء السلام، وصحبة الكرام، والاهتداء بالبراهين الساطعة والتوكل على الله، ومحبة الاحسان وكره الفسوق والعصيان والتزيين بالستر والعفاف والستر بلباس الكفاف والقنوع والحمل على العدل والانصاف، والامن من كل مخوف، والطهارة من الدنس والاقذار والصبر على كائنات الاقدار والتقوى وصحبة الابرار والقيام لصالح الاعمال، والتنبه لبركات الاسحار، والعرفان بقلوب منورة، مجدّا لدخول جنّات الرحمن، وغلق ابواب النيران،بالابتعاد عن همزات الشيطان، مطهراً من العيوب، ممتحن القلوب، آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر يرتقي إلى قمة الإنسانية بفضل ليلة القدر التي هي خير من الف شهر و...

www.SID.ir

Archive of SID

يسعى الإنسان إلى تحقيق هذا المعنى مع المثالي من خلال الادعية المأثورة والمنقولة عن نبي الرحمة واهل بيته لتكون منارا له في حياته الدنيوية ومآلاً لآخرته.

وهل يغيب على ذي لب وحكيم دعاء أبي الاحرار الحسين بن علي عليهما السلام في عشية عرفة كما نقلاه بشر وبشير ابناغالب الاسدي قالا كنا مع الحسين بن علي « عليهما السلام» عشية عرفة فخرج (ع) من فسطاطه متذللاً خاشعاً ، فجعل يمشي هوناً، هونا حتى وقف وهو وجماعة من اهل بيته ، وولده وموالية ، في مسيرة الجبل مستقبلاً البيت رافعاً يديه تلقاء وجهه، كاستطعام المساكين ، ثم قال: الحمد لله الذي ليس لقضائه دافع ولالعطائه مانع ولاكصنعه صنع صانع وهو الجواد الواسع ... وبعد ذكر اروع المناجات بين العبد وربه تتجلى فيها آيات الخشوع من العبد والالوهية من ربّ رحمن رحيم.... إلى أن يقول : اللهم اقبلنا في هذا الوقت منجحين مفلحين، مبرورين ، غانمين، ولا تجعلنا من القانطين.... ولا تردّنا خائبين ولامن بابك مطرودين يا أجود الاجودين.... اللهم ونقّنا وسددنا واقبل تضرعنا ياخير من سئل ويا ارحم من استرحم....

www.SID.ir

Archive of SID

وبهذا الدعاء يرسم خارطة طريق للفرد المؤمن والمجتمع الصالح، يرسم صورة كاملة عن ضعف الإنسان الذي قد يظن انه فعّال مايشاء من جهة، ويقدم لوحة فنية عرفانية لربّ العزة والجلال، العفو الغفور الرؤوف الرحيم.... بالدعاء الحسيني يكشف الإنسان والمجتمع استراتيجية الحياة بعد معرفة نقاط الضعف والقوة وكيفية الارتقاء إلى قمة الكرامة والإنسانية .

واليك صورة اخرى عن الدور التربوي للدعاء في تكوين مجتمع ينهج المسير الوحدوي ليصل إلى اعلى درجات القرب والعبودية .

وقد ورد بأسناد معتبرة عن جابر عن الباقر(ع) أنه زار الامام علي بن الحسين زين العابدين (ع)، قبر أمير المؤمنين علي (ع) قائلاً: «السلام عليك يا أمين الله .. إلى أن قال : اللهم إن قلوب المخبتين إليك والهة وسبل الراغبين اليك شارعة واعلام القاصدين اليك واضحة وأفئدة العارفين منك فازعة واصوات الداعين اليك صاعدة وأبواب الاجابة لهم مفتحة ودعوة من ناجاك مستجابة وتوبة من أناب اليك مقبولة وعبرة من بكى من خوفك مرحومة والإغاثة لمن استغاث بك موجودة والاعانة لمن استعان بك مبذولة وعداتك لعبادك منجزة وزلل من استقالك

www.SID.ir

Archive of SID

مقالة واعمال العاملين لديك محفوظة وأرزاقك إلى الخلائق من لدنك نازلة وعوائد المزيد اليهم واصلة وذنوب المستغفرين مغفورة و حوائج خلقك عندك مقضيّة و جوائز السائلين عندك موفّرة وعوائد المزيد متواترة وموائد المستطعمين معدّة ومنا هل الظماء مترعة»[30].

ان كل جملة من هذه الادعية هي في الواقع مدرسة لتعليم ولتربية المجتمع الإسلامي تقوده إلى تطهير القلب والرغبة نحو المعبود وقصده والاعتمادعليه والانقطاع عمن سواه، وتجعله يعيش روح الامل في غفران ذنوبه وتجديد ثوب الحياة بقبول توبته والاستعانة والاستغاثة بربّ العزة. ما يقرأه الإنسان مُقَولبٌ بالدعاء لكنه يحمل السبل المتنوعة التربوية لايجاد مجتمع موحّد ونموذجي؛ لذلك يؤكد سيد عرفاء عالمنا المعاصر الامام الخميني الراحل: على العلماء ان يكشفوا حقائق دعاء ليلة عرفة للمجتمع الإسلامي قائلاً: «إن القرآن نزل بلسانه الخاص والدعاء حسب تعبير مشايخنا« هو القرآن الصاعد» وكل ما يحتاجه الإنسان سيحصل عليه في هذا الدعاء ان لغة الدعاء تختلف عن لغة الاحكام ولغة الفلسفة ولغة العرفان فانهما اثنان، ولغة الدعاء فوق كل هذه اللغات لكن هذه اللغة تحتاج إلى من

www.SID.ir

Archive of SID

يتفهّمها فعلى من يتفهم لغة الدعاء ان ينبهوا الآخرين، كما ان القرآن نعمة الهية يتنعم من فضله لكن تنعم النبي من القرآن يختلف عن تنعم الآخرين منه (انما يعرف القرآن من خوطب به)[31] فالبعض لايعرف منه شيئاً والبعض لايعرف الا القليل»[32] .

ومن روائع الادعية الواردة عن مدرسة اهل البيت (ع) والتي تقرأ في الاعياد وخاصة الجمعة «دعاء الندبة» وهذا الدعاء في الحقيقة يرسم خط المستقبل للمجتمع المسلم وخصوصياته وقد جاء فيه مبيناً حالة المجتمع الملتزم بظهور الامام المهدي المنتظر(عج) وقد ورد فيه: أين المعد لقطع دابر الظلمة أين المنتظر لإقامة الأمت والعوج أين المرتجى لإزالة الجور والعدوان أين المدّخر لتجديد الفرائض والسنن أين المتخيّر لاعادة الملّة والشريعة أين المؤمل لاحياء الكتاب وحدوده أين محيي معالم الدين وأهله أين قاصم شوكة المعتدين أين هادم ابنية الشرك والنفاق أين مبيد أهل الفسوق والعصيان والطغيان ....[33]

إن الدعاء هنا دعوة للمجتمع للسير على نهج الامام المهدي المنتظر لأن افضل الاعمال انتظار الفرج والانتظار هو ايجاد الارضية المناسبة لظهور صاحب العصرو الزمان ، والارضية لاتحقق الاّ بالعمل من اجل تثبيت

www.SID.ir

Archive of SID

الخصائص المذكورة في هذا الدعاء من مقارعة الظلمة ، والاعتدال وعدم الاعوجاج عن صراط الحق واحياء الفرائض والسنن.....

ومن الواضح أن هذه الامور هي مقدمات لتهيئة الارضية اللازمة لظهوره والادّعاء لوحده لايمكن أن يحقق امنية الداعي وبالعصيان وارتكاب الذنوب لايقترب الإنسان إلى ربه والطاعة هي الحل الوحيد لترجمة الأماني إلى الواقع « ان المحب لمن يحب مطيع».

اولم نردّد في دعاء العهد « اللهم اجعلني من انصاره واعوانه والذابين عنه والمسارعين إليه في قضاء حوائجه والمحامين عنه والسابقين إلى ارادته والمستشهدين بين يديه»[34] ولايمكن الوصول إلى هذه المراتب الا بنية خالصة وجهد دؤوب وجهاد مستمر وقربة إلى الله سبحانه.

لقد تطرقنا إلى بعض ماورد على لسان الائمة الهداة من الادعية المأثورة لنؤكد انهم (ع) إلى جانب الدعاء الفردي والذي يتحرك في خط التربية الفردية والتزكية والتهذيب المؤدي بالعبد إلى اقامة مجتمع صالح بعيداً كل البعد عن الصفات الرذيلة ومهيئاً لتشيد نظام مبني على القيم الإنسانية والإسلامية، جهدوا على تربية الامة كي لاتغفل عن الدعاء الجماعي لتوطيد

www.SID.ir

Archive of SID

اواصر الامة الواحدة وتأكيد ماجاء به القرآن النازل بما يصعد من الارض من دعاء مأثور عنهم (ع) لتكون مسيرة الإنسان بناءة ومتكاملة، من اجل بناء دنيا قائمة على العدل والانصاف لتكون مزرعة لآخرة يجتمع فيها الانبياء والصديقون والشهداء والصلحاء وحسن اولئك رفيقاً .

وفي الختام نشير إلى بعض ماجاء في دعاء زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب (ع) لأهل الثغور :« اللهم صلى على محمد وآله وكثر عدّتهم واشحذ اسلحتهم واحرس حوزتهم وامنع حومتهم ، وألّف جمعهم ودبّر امرهم ، وواتر بين مبرهم وتوحد بكفاية مؤنهم واعضدهم بالنصر وأعنهم بالصبر والطف لهم في المكر[35].

..... اللهم اشغل المشركين بالمشركين عن تناول اطراف المسلمين وخذهم بالنقص عن تنقّصهم وثبطهم بالفرقة عن الاحشاد عليهم ...[36].

الهوامش:

1- الكافي :467/2 ج 8
2- يونس/ 25 .
3- غافر/ 41 - 42 .
4- البقرة/ 186 .
5- ق/ 16 .

www.SID.ir

Archive of SID

6- الواقعة/ 85 .
7- دائرة المعارف الإسلامية الشيعية ـ حسن الامين ـ ج6 ص 489
8- الحشر/ 24 .
9- الحج/ 78 .
10- ابراهيم/ 24 - 25 .
11- الأنبياء/ 92 .
12- المؤمنون/ 52 .
13- الدعاء عند اهل البيت (ع) ...محمدمهدي الآصفي ـ ص 300.
14- الذاريات/ 56 .
15- المؤمنون/ 60 .
16- تحف العقول ص 503 ـ الانجيل المقدس ـ دارالكتاب المقدس في الشرق الاوسط ص 13.
17- المصدرالسابق ـ ص 496 ـ 500.
18- المصدرالسابق ـ ص 510.
19- تحف العقول للحراني ـ ص 496 ـ مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين بقم المشرفة .
20- الأعراف/ 23 .
21- البقرة/ 127 - 128 .
22- الممتحنة/ 5 .
23- الأعراف/ 89 .
24- طه/ 45 .
25- الأحزاب/ 21 .
26- مفاتيح الجنان ـ منشورات دارالثقلين لبنان ـ ص 61.
27- المصدر السابق ـ ص 235.
28- آل عمران/ 159 .
29- البقرة/ 143 .
30- مفاتيح الجنان ـ ص 423.
31- بحارالانوارللعلامة المجلسي ج24 ص 237.
32- صحيفة نور ـ مجموعة آثار الامام الخميني

www.SID.ir

Archive of SID

(بالفارسية) ج19 ص 355.

33- مفاتيح الجنان ـ ص609.

34- المصدر السابق ـ ص.613

35- الصحيفة السجادية ـ ترجمة صدرالدين بلاغي ـ ص 102 (دعاء 27).

36- نفس المصدرـ ص 106.

www.SID.ir